الفصـــل الثاني

- **اعلم أن للتوبة فضائل كثيرة منها :-**

أولا: بالتوبة يحصل الفرد على محبة الله عز وجل :-

قال تعالى:

﴿ .....إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

[البقرة:٢٢٢]

ويا لها من فضيلة عظيمة أن يحبك الله فإذا أحبك جعل كل الناس يحبونك .

فإن الله إذا أحب أحداً قال يا جبريل إني أحب فلان فيحبه جبريل لحب الله له وينادى جبريل في الملائكة إن الله يحب فلان فتحبه الملائكة لحب ربها له ويبسط له القبول في الأرض فيحبه كل من في الأرض ليس الإنسان فقط ولكن كل شيء على الأرض .

كما أورد البخاري في كتابه باب **"الملقت من الله "** ثم أورد حديثا يدل على ذلك:

قال رسول الله -ﷺ- " إذا أحب الله العبد قال يا جبريل إني أحب فلان فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلان فأحبوه فيحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله أحد قال لجبريل إني أبغض فلانا

فيبغضه جبريل ويقول للملائكة إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، ثم يوضع له البغض في الأرض".

* فرصة عظيمة يا من يشتكي من قلة الأحبة والخلان إذا عدت إلى الله وتبت إليه بسط لك الحب في الأرض يا من يشتكي الوحدة وقلة حب الناس له آلا يكفيك أن يحبك ملك الملوك والله هي غايتنا وسعادتنا وأغلى أمانينا فبحب الله نجونا من النار.

فنحن نعيش في هذه الدنيا راجين حب الله ورضوانه فهي النعمة التي لو حصلنا عليها لفزنا بروح وريحان ودخول الجنان والعتق من النيران ورضا من الرحمن.

● **ولكن اعلم أن لحب الله علامات :-**

اعلم أن حب الله لا يكون إلا بالطاعة لكل ما جاء به الله بإتباع كل ما أمر به و اجتناب كل نواهيه فلا يعقل أن يطاع من لا تحبه طاعة رغبة ورهبة لا طاعة جبر كما **قال القائل** :

أتـــدعى حـــب الإلـــه و أنـــت
مخـــالف لـــه فكـــذب و هـــراء
فالحـــب أوُلـــى علاماتـــه
طاعـــة وولاء وإتبـــاع

و من علامات حب الله أيضا إتباع النبي في كل ما بلغ عن رب العزة تبارك وتعالى **قال تعالى**:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

[آل عمران:٣١]

فباتباعك للنبي تحصل على محبة الله جل وعلى فأبشر يا من آمنت بالرسول - ﷺ - وأتبعت طريقه بحب الله لك.

ومن علامات حب الله أيضا رضاك أنت عن الله وعدم السخط من قضائه فهو أعلم بما ينفعك وبما يضرك وهى من علامات المؤمنون **قال تعالى**:

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البيِّنة:٨]

أعلم أن في هذه الآية علامة أخرى من علامات حب الله آلا وهى خشية الله تعالى فبخشيتك تحصل على رضاه جل وعلى ومحبته.

- ومن علامات حب الله أيضا كثرة الابتلاء فورد عن النبي - ﷺ - أنه قال " إذا أحب الله عبداً ابتلاه" ويبتلى المرء على قدر إيمانه فأبشر يا من وقع في البلاء بحب الله لك أليس الصادق هو الذي يقول لك هذا الكلام وأعلم أن الله يكثر البلاء على من يحبه حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة فيا من وقعت في البلاء بحب الله لك فلا تتحسر من كثرة وقوع البلاء وأعلم أن البلاء كلما زُد على العبد كلما كان من الأعلى في الدرجات والكثير من الحسنات أليس الرسول - ﷺ - يقول "يبتلى المرء على قدر دينه، وأكثر الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يَلَوْنَهم" .

- ومن علامات المحبة أيضا الإكثار من فعل الطاعات والبعد عن المنكرات فإذا رأيت في نفسك زيادة في أعمال الخير كلها وتحب الإتيان منها فاعلم أن الله

يحبك بأن جعلك تتقرب إليه بفعل الكثير من الطاعات فإنها من علامات الإيمان التي امتدح بها المؤمنون وجعلها من علامات الإيمان **قال تعالى**:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون:١:٤]

إلى آخر هذه الآيات التي امتدح فيها المؤمنون وأعلم أن الله إذا امتدح فعل شخص فإنه أحبه ولا تحصل على رضاه إلا بالطاعة وجعل علامة حبه كثرة طاعته طمعا في رضاه وجعلها علامة للقرب منه - عز وجل- .

قال الله في الحديث القدسي :-" ما تقرب إلي عبد بشيء أفضل مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلَيَّ بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سَمْعِهِ الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده إلَيَّ يُبْطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن استعاذني لأعيذنه ولئن سألني لأعطينه ."

ثانيا: بالتوبة يفرح الله -عز وجل- بك :-

فالله - عز وجل- يفرح بتوبة عبده الذي عصاه ثم عاد إليه نادماً على ما اقترف من الذنوب وقد ضرب لنا رسول الله أروع الأمثلة لفرحة ربنا تباركت أسماؤه وعظم جاهه ونحن نؤمن بأن الله ليس له مثيل فهو غني عن التشبيه والتمثيل والتكييف فكل ما جاء ببالك فالله غير ذلك فربنا تبارك وتعالى هو الكمال الذي ليس بعده كمال فصفاته كلها صفات لا يضاهيها أي صفة في صفات المخلوقين في الدنيا حتى ولو كان أكمل الخلق محمد - ﷺ - .

فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فأضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فقال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح".

فيا له من كرم للكريم يفرح بتوبة عبده العاصي إذا عاد إليه وهو الغنيّ عن كل الناس فهو أحق من عبد وأعظم من أبتغى وكيف يكون فرح الرجل الذي أيقن بالهلاك عند النجاة ولله المثل الأعلى فكيف يكون فرح ربنا بتوبة عبده العاصي إذا عاد إلى طاعته .

- يعصاه وإذا رجع إليه قبله ، يعصاه وإذا تاب عن معاصيه تاب عليه ، فأبشر يا من وقعت في المعاصي أنك إذا وقعت في المعاصي فلا تيأس من رحمة الله فالله هو الغفور يفرح بتوبتك **قال تعالى**:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزُّمَر:٥٣]

ثالثا : بالتوبة من الذنوب والمعاصي يبدل الله هذه الذنوب والمعاصي إلى حسنات:- **قال تعالى**:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨: ٧٠]

نجد أن الله في هذه الآية امتدح ما يفعله المؤمنون من توحيدهم لله وامتثالهم لنهيه بعدم قتل النفس إلا بحقها وعدم الزنا أيضا وتوعد من يفعل ذلك بالعذاب بل ومضاعفة العذاب له يوم القيامة والخلود فيها مُهَانا مذلولاً ووعد من تاب من كل الذنوب بقبول التوبة بل ولكرمه وفضله وعظيم عطاياه يبدل الله هذه السيئات التي إقترفها إلى حسنات ويغفر له مغفرة عظيمة أبشر يا من أذنبت أنك بتوبتك لله توبة خالصة نصوحا فإن الله يبدل كل ما إقترفته من الذنوب إلى حسنات بل ومن عظيم فضله يضاعفها لك أضعاف كثيرة.

وورد عن النبي- ﷺ - أنه قال" يؤتى بالعبد يوم القيامة وفي يده صحائفه فيقول له الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يا رب ،ويقول الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يا رب وقد أيقن بالهلاك فيقول الرب للعبد لقد سترتها عليك في الدنيا واليوم أسترها عليك في الآخرة " .

يا له من كرم للكريم يغفر الذنوب ويستر العيوب بل ولعظيم فضله يسترها للمذنب في الآخرة فالله يوزع عطاياه في الآخرة على كل الناس حتى أنه من جليل فضله يطمع إبليس في المغفرة والعتق من النار.

بل من عظيم فضله وكرمه يعتق من النار أناساً لم يفعلوا الخير في حياتهم أبدا لمجرد حسن ظنهم بالله يقول رسول الله -ﷺ- " يؤتي بالعبد يوم القيامة فيقول له الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يارب أذكر، ويقول الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يارب أذكر وقد أيقن بالهلاك فيأمر ملائكته فتأخذه إلي النار وبينما هم كذلك إذا بالعبد ينظر إلي

ربه فيقول له الرب هل ظلمناك هل لك مظلمة فيقول لا يارب ما كان هذا ظني بك فيدخله الله الجنة ".

فيا عظيم فضله ورحمته وعطاياه يعطى لمجرد حسن الظن به فاللهم يارب لا تحاسبنا بعملنا وحاسبنا بعظيم فضلك.

يـــا رب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة

فلقـــد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــم

إن كـــان لا يرجـــوك إلا محـــسن

فـــبمن يلـــوذ ويـــستجير الآثـــم

أدعوك ربـــي كمـــا أمـــرت تـــضرعا

فـــإذا رددت يـــدي مـــن ذا يـــرحم

مـــالي إليـــك وســـيلة إلا الرجـــاء

وعظـــيم فـــضلك ثـــم أنـــي مـــسلم

رابعا: التوبة الصادقة من كل الذنوب تدخل صاحبها الجنة :

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨]

- نجد أن الله في هذه الآية يدعو جميع المؤمنون إلى الدخول في التوبة وأن تكون توبتهم من الذنوب توبة نصوحا والتوبة النصوح هي التي لا زيغ فيها و لا رجوع فيها إلى المعاصي رجاء أن يكفر عنهم ربهم ذنوبهم وقال العلماء أن أي لفظة فيها رجاء داخل القرآن هي لتأكيد هذا الحكم ، أبشر يا من وقع في المعاصي بالغفران وبالتالي العتق من النيران ودخول فسيح الجنان التي تجرى من تحتها الأنهار وذلك إذا تبت ورجعت عن المعاصي إلى رضي الله عز وجل وعملت من الطاعات كل طرقها فيبدل الله هذه السيئات إلى حسنات ويثقل الميزان وبالتالي يستحق دخول الجنان.

خامسا : بالتوبة تفتح أبواب الرجاء في عفو الرحمن ومغفرته طمعا في قبول التوبة وألا يطردوا من رحمة الله وألا يوصد بينهم وبين الله باب :-

قال تعالى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران:١٣٣]

- نجد أن الله في هذه الآية دعا الناس إلى عدم الخوف من كثرة وقوعهم في المعاصي وبشرهم برحمته الواسعة حتى أن الله من عظيم كرمه وفضله يغفر الذنوب جميعا إذا تاب من المعاصي بل ويحول هذه الذنوب والمعاصي والخطايا إلى حسنات لكن لا يغرنك هذا وكن على حذر لأنك لا تعلم في أي وقت تكون النهاية فلابد أن يكون عملك بطاعة حتى تموت على طاعة وحسن الخاتمة فالله اشترط لدخول الجنة والتمتع فيها الموت على حُسْن الخاتمة فالله من عظيم فضله تفضل على عباده بقبول التوبة

والدخول في رحمة الله عز وجل بل ومن كثير فضله ورحمته على عباده وعدهم بمغفرة الذنوب جميعها فاللهم لا تحرمني من عظيم فضلك الذي وسع الدنيا كلها.

بـــكَ أســـتجير ومـــن يجيـــر ســـواك

فـــأجر ضـــعيفا يحتمـــي بحمـــاك

ربـــى جئتـــك معترفـــا بخطيئتـــي

فـــأغفر لعبـــد تجـــرأ وعـــصاك

سادسا : التوبة تؤدى إلى فتح أبواب الاستغفار وتذكر الله -عز وجل- :-

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٥]

- نجد أن الله في هذه الآية امتدح المؤمنون الذين إذا أذنبوا ذنبا تذكروا الله فعجلوا بالإستغفار لله الواحد الغفار وعلموا أن لهم ربا يغفر الذنوب جميعها كبيرها وصغيرها ولجأوا إلى الغفور الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء وعرفوا الطريق الصحيح فتضرعوا إليه لمغفرة الذنوب فداوموا على الاستغفار إلى العزيز ولم يصروا على المعاصي بعد أن عَلِمُوها وَعَلِمُوا ضررها واتجهوا إلى الله عز وجل راجين منه أن يغفر الذنوب ويرضى عنهم ولا يغضب عليهم أبدا.

سابعا : التوبة تؤدي إلى ثناء الله على عباده المداومين على الاستغفار:-

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

[آل عمران:١٦:١٧]

- نجد أن الله في هذه الآية امتدح فعل المؤمنين من أنهم مع كل ما يفعلون من خيرات يداومون على الإستغفار وكذلك حال المؤمن إذا ما وقع في المعصية فإنه يرجع إلى ربه بالاستغفار.

كما قال عبد الله بن مسعود " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها جبل عالي يوشك أن يقع عليه ، وأن المنافق يرى ذنوبه كأنها ذبابة مرت من على أنفه فحرك إليها يده هكذا " ووضع يده على أنفه .

والله - عزوجل- امتدحهم إذ أقسم بهم في هذه الآية قائلاً المستغفرين بالأسحار مادحاً فعلهم من استغفارهم إياه بالليل والناس في نومهم وهم قيام إلى ربهم ذلك بأن ذنوبهم على أكتافهم ثقيلة فقاموا الليل يستغفرون داعين الله أن يغفر لهم هذه الذنوب ويخفف عنهم حملها ، فيا من وقعت في الذنوب قم إلى الله طالباً صَفحِهِ وَعَفوه وكرمه فهو الكريم الذي يغفر الذنوب الكثيرة لكن عليك أن تقدم طلباً بمغفرة الذنوب فأنت عليك بالاستغفار لله الواحد القهار وهو عليه العفو والصفح والجزاء الأوفى والتكرم على عباده المستغفرين النادمين من الذنوب بالدخول في الجنان والتمتع في صنع الرحمن فبالاستغفار تحصل على رضا الله عزوجل.

ثامنا : التائب من ذنبه محل رعاية الله وأهل لحفظه ورحمته وينعم عليه بالثواب العظيم والنعيم المقيم :-

قال تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران:١٣٦]

واعلم أن الله تعالى هو الذي يحفظك من الذنوب ويساعدك على تحمل أعباء الطاعة وبعد ذلك وعدك بالمغفرة وهذا والله نعيم لا يضاهيه نعيم يساعدك على الطاعة ثم بعد ذلك يكافئك على صبرك على تحمل الطاعة وبعد ذلك يعطيك الجنة وتدخلها خالداً فيها ثم يمدحك على فعلك بقوله ونعم أجر العاملين .

وقال رسول الله - ﷺ - "يقول الرب تبارك وتعالى أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني" فأنت بذكرك لله تدخل في معيته وحفظه فمن يقدر عليك بعد ذلك أو يقترب منك فأنت في حفظ الله جل وعلى فأبشر بحفظ الله لك فلن يجد الشيطان إليك سبيلا وبالتالي ستكثر من الطاعات تقرباً لرب الأرض والسموات فمن يحول بينك وبينه بعد الدخول في معيته بل ويتكرم عليك بالدخول في رحمته ومغفرته والتمتع في عطاياه من الغفران والدخول في فسيح الجنان .

تاسعا : التوبة مع المداومة على الاستغفار مع التوبة من الذنوب والمعاصي سبباً من أسباب الخصب والنماء وكثرة النسل وتوسعة الرزق وزيادة العزة والمنعة:-

قال تعالى:-

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح:١٠:١٢]

فبالإستغفار يغفر الله لك ويوسع عليك من الرزق كل ما تشتهي في الدنيا من مال وبنين و زروع وماء وكل أنواع المعيشة فالله جعل الاستغفار لله الواحد القهار سبباً من أسباب إنعامه على الناس ومن توسعة الأرزاق ثم بعد ذلك زاد في الإنعام على المستغفرين ووعدهم بالدخول في فسيح الجنان التي تجرى من تحتها الأنهار ونعم أجر العاملين .